

## أنا وأنت على الطريق

### أم مثالية مصرية عاشت في جلاباب رجل

صديقتي ، تحت عنوان أم مثالية مصرية عاشت ثلاثة وأربعين عاماً في "جلباب رجل" جاء الخبر الحقيقي التالي من القاهرة في مصر: أمضت صيصة أبو دوح ثلاثة وأربعين ترتدي ملابس الرجال وتمتحن مهنتهم الشاقة بعد موت زوجها لإعالة ابنتها الوحيدة ثم أحفادها. ورغم اختيارها أم مثالية في بلدتها الأقصر في صعيد مصر ، إلا أنها تقول إنها عاشت وستموت في جلاباب رجل. وشاركت صيصة البالغة من العمر خمسة وستين عاما في حفل تكريم الأمهات المثاليات الذي نظم برعاية الرئيس المصري السيسي. وإلى جانب وسام الكمال التقديري حصلت على خمسين ألف جنيه أي قرابة خمسة وستين ألف دولار أمريكي . وقالت صيصة من مدينة الأقصر التي تبعد قرابة سبعمئة وعشرين كيلومترا جنوب القاهرة بصوت أجش يملأه التحدي : لم يكن عندي بديل سوى أن أعمل في زي رجل. خفت على ابنتي أن تنتشر أو أن يطمع فينا الناس في بيئة الصعيد المحافظة جدا بعد أن توفي زوجها وهي حامل بابنتها هدى في شهرها السادس.

تنتشر ظاهرة الأم المعيلة في مصر بشكل واسع لكن الغالبية العظمى من النساء يعملن في مهن مناسبة للنساء كموظفات أو عاملات ودون إخفاء هوياتهن. وتسترجع صيصة قرارها بقولها: حلقت شعر رأسي وارتديت الجلاباب البلدي والشاش أي العمامة ، وحذاء رجاليا لأحصل على فرصة عمل. لولا هذا لكان صعبا جدا أن أجد عملا بسبب العادات. وتضيف: الأمر كان صعبا لكن دونه لكان الرجال ضايقوني ومنعوني من الشغل أو حتى لكانوا اعتدوا علي . وطيلة ثلاثة وأربعين عاما عملت صيصة التي لا تجيد القراءة والكتابة في مختلف مهن الرجال. وتقول بفخر اشتغلت في تصنيع الطوب والبناء خمسا وعشرين سنة، ثم في جمع المحاصيل . لم أرفض أي عمل شريف لتربية بنتي. وأضافت: يداي تشققتا وأصبحت أصابعي فعلا مثل أصابع الرجال. صحتي تدهورت فلجأت لصندوق الورنيش لمسح الأحذية. وسأظل أشتغل في جلاباب الرجال حتى أموت. وتقول صيصة أيضا إنها اضطرت لذلك لأن أحدا لم يساعدها بعد موت زوجها. أشقائي لم يساعدوني ، وأرادوا تزويجي وكانوا يحضرون لي العرسان للتخلص مني ومن مسؤوليتي. قبل أن تضيف الست الأصيلة لا تتزوج بعد وفاة زوجها. إلى هنا ينتهي الخبر.

ألا تستغربين يا سيدتي من قصة هذه المرأة التي تُوجت الأم المثالية في مصر؟ فالمجتمع المغلق والمحافظ جدا، أجبر هذه المرأة أن تتخلى عن شخصيتها كامرأة وتتحل شخصية رجل كيما تستمر في العيش الكريم وتدعم عائلتها الصغيرة بعد أن مات زوجها. بالطبع نعم، نستغرب هذا التصرف لأول وهلة، لكننا نجد في قصتها جرأة كبيرة وتضحية أكبر، واستيعابا لتقاليد وضغوط المجتمع الخاطئ. فنحن نحبيها من على منبر برنامج أنا وأنت على الطريق، ونقول مرحى لها. لكن هذا لا يعني أن انتحال المرأة لشخصية رجل هو الحل في مجتمعات كهذه. فهذه كانت حالة شاذة، استطاعت من خلالها هذه الأم أن تقوم بهذه المهمة مهمة الرجل. لكن لو كانت تعيش في مجتمع صحيح ينظر للمرأة كما ينظر للرجل، ويقدم للمرأة فرصاً للعمل الكريم مثلها مثل الرجل، فبالتأكيد لما انتحلت هذه المرأة شخصية ذكورية لأداء واجباتها. أليس كذلك؟

إذا عدنا إلى الإنجيل المقدس يا سيدتي الذي كتبه أناس الله مسوقين بالروح القدس، سنجد أن الرب يسوع المسيح الذي أتى إلى عالم البشر من السماء، كانت له نظرة تختلف عن نظرة المجتمع إلى المرأة في ذلك الزمان. فنظرة المجتمع اليهودي للمرأة كانت نظرة تمييز وعنصرية، حتى إن الرجل اليهودي في ذلك العصر كان يصلي شاكراً لله لأنه خلقه ذكراً وليس أنثى. وحين جاءت مريم أخت لعازر وسكبت طيب ناردين عند رجلي الرب يسوع، ومسحتها بشعر رأسها، تعبيراً عن تكريسها حياتها له ، وتعبيراً أيضاً عن عبادة قلبية صادقة ، اعترض أحد تابعي المسيح على هذا الإسراف على الرغم أن الطيب هو طيبها اشترته بمالها، أما يسوع فأجاب وقال: اتركوها، لماذا تزعجون المرأة؟ فإنها قد عملت بي عملاً حسناً، لأن الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلست معكم في كل حين. الحق أقول لكم: حيث يركز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراتها. (متى ٢٦: ٦-١٣)

إن، لم ينتهها الرب يسوع، ولم يوجّه لها أية كلمة نابية، أو لم يبدِ اشمئزازه من عملها البتة، لأنها امرأة، بل مدحها أمام الجميع حين اعترض البعض على عملها هذا مقدمين أعاراً بالية من جهة الإسراف. نعم، مدح المرأة التي هي مريم أخت لعازر على عملها هذا التي قامت به. فلقد عبرت بالحق عن إيمانها بشخصه ، وتكريس حياتها له. مدحها وقال بأن هذا العمل سيذاع وسينشر في كل المسكونة حيث ينشر الإنجيل. لقد بيّن لتلاميذه بأنه يحترم المرأة، كما يحترم الرجل، وأن انتقادهم النابع من نظرتهم الخاطئة للمرأة ، ليس هو في محله أبداً. علّمهم درساً مثلما كان يعلمهم دروساً في كل مرة تأتي إليه المرأة معبرة له عن حاجتها إما إلى شفاء أو إلى غفران لخطاياها.

واليوم سيدتي، لايزال المجتمع يتوارث هذه النظرة وهذه العقيدة الضالة عن المرأة ، ويميز تجاهها، ولن يتحرر فعلاً إلا إذا اقتدى  
بالرب يسوع المسيح نفسه، وحده الذي حرّر الإنسان من كل سلطان التقاليد والعادات ومنحه الحرية الحقّة . ألم يقل : إن حرركم  
الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً؟ فصلاتي أن يقرأ الناس في مجتمعنا كلمة الإنجيل ويقتادوا بالمسيح المثل الأعلى والأسمى.

\*\*\*\*\*